قصة العدد 22

مكانٌ للنعناع

حكاية عن يوم يتّسع لشيء آخر

قصة مستوحاة من مقال الأستاذة هدى بركات
«الحياة أوسع من الألم»



خطوة صغيرة... وصديقة تعرف كيف تبقى

المشهد الأول

الأصيص الفارغ

منذ أغلقت مريم محلها، بقي مفتاحه في جيب الحقيبة الصغيرة. كانت تعرف أن الباب صار يفتح على بضاعة شخص آخر، لكنها كلما بحثت عن منديل لمست المفتاح، وأعادت الحقيبة إلى مكانها.

في ذلك الصباح، وجدت أصيص النعناع يابسًا قرب باب السطح. مدّت يدها إلى الغصن، فانكسر بين أصابعها. قالت بصوت خافت: «حتى هذا لم أستطع أن أحافظ عليه».

كانت سلوى قد وصلت تحمل خبزًا ساخنًا. وضعت الكيس على الطاولة، ونظرت إلى الأصيص، ثم إلى صديقتها.

«نسيتِ سقيه».

«أنسى أشياء كثيرة».

لم تقل سلوى إن كل شيء سيكون بخير. سألتها فقط إن كانت تريد أن ترمي التراب أم تتركه الآن.

جلست مريم على العتبة. منذ أشهر، كان كل شيء يتحول في رأسها إلى دليل ضدها: المحل المغلق، الصحون المتراكمة، الرسالة التي لم تجب عنها. حتى النعناع صار شاهدًا.

قالت: «نتركه الآن».

فجلست سلوى إلى جانبها، وفتحت كيس الخبز.

المشهد الثاني

عشر دقائق على السطح

كانت مريم تتابع منذ أسابيع جلسات مع أخصائية نفسية في مركز تستطيع تحمّل تكلفته. لم تتغير حياتها فجأة. ظلت بعض الصباحات ثقيلة، وظلت حسابات الديون تحتاج إلى حلول لا توفرها الكلمات وحدها.

في إحدى الجلسات، قالت: «أعرف ما ستقولين: يجب أن أتحرك».

سألتها الأخصائية: «ماذا يحدث قبل أن تقولي لنفسك إنك لا تفعلين شيئًا؟»

أجابت بعد صمت: «أخاف… ثم أغضب من نفسي لأنني خائفة».

توقفت عند الجملة. كانت تسمي كل ما تعيشه كسلًا، ولم تكن قد منحت الخوف اسمًا.

في المساء، اقترحت سلوى أن تشربا الشاي على السطح. قالت مريم إنها ستصعد حين يتحسن مزاجها.

«يمكننا أن نجلس عشر دقائق. وإذا لم ترغبي، ننزل».

صعدت وهي تحمل تعبها معها. سمعت طفلًا ينادي أمه من البيت المجاور، ورأت قميصًا يتقلب على حبل الغسيل. برد الشاي قليلًا قبل أن تنتبه إلى أنها لم تكن تنظر إلى هاتفها.

«حين نزلتا، لم تقل إنها أصبحت بخير. قالت: «الهواء كان لطيفًا».

المشهد الثالث

الرسالة التي انتظرت

بعد أيام، وصلت رسالة من زميلة قديمة: «أنت قوية. عليك أن تحولي ما حدث إلى نجاح أكبر، حتى يندم كل من شك فيك».

شعرت مريم بحرارة تصعد إلى وجهها. كتبت جوابًا طويلًا، ثم أضافت جملة قاسية. كان إصبعها قريبًا من زر الإرسال حين وضعت الهاتف على الطاولة.

في دفترها الصغير، كتبت كما تدربت في الجلسة: «غضب. وخجل أيضًا».

فتحت النافذة، وشربت ماء، وانتظرت. لم يصبح الكلام الذي قرأته أقل إيلامًا، لكن الجملة القاسية لم تعد الجواب الوحيد المتاح.

عادت إلى الهاتف وكتبت: «أعرف أنك تريدين تشجيعي. لكن الحديث عن النجاح الآن يضغط عليّ. أحتاج أن تسألي عني دون أن تطلبِي مني إثبات شيء».

قرأتها مرتين قبل أن ترسلها.

لم تعرف كيف ستستقبلها زميلتها. بقي القلق حاضرًا، لكن مريم لم تمضِ بقية المساء تعاقب نفسها على شعورها، أو تكتب اعتذارًا عن احتياجها.

وحين اتصلت سلوى، قالت لها: «اليوم قلت ما أحتاج إليه. ارتجف صوتي حتى وأنا أكتبه».

المشهد الرابع

غصنان من النعناع



في طريق عودتها من السوق، اشترت سلوى غصنين من النعناع لهما جذور صغيرة. أخرجتهما من الكيس على السطح، إلى جانب الأصيص القديم.

نظرت مريم إليهما بحذر: «لا تبدئي الآن بفكرة أن أزرع وأبيع، وأفتح مشروعًا من جديد».

ضحكت سلوى: «كنت أفكر في الشاي».

أحضرتا قليلًا من التراب. اتسخت الطاولة، وانسكب الماء على الأرض. غرست مريم الغصنين، ثم بقيت تتأمل ميل أحدهما.

«قد يذبلان أيضًا».

«ممكن. نرى غدًا إن كان التراب يحتاج إلى ماء».

لم تتحدثا عن البدايات الكبيرة. سألت سلوى عن موعد الجلسة القادمة، وعرضت أن ترافقها في الطريق. قالت مريم إنها تفضل الذهاب وحدها هذه المرة، لكنها تريدها أن تمر مساء الخميس.

وقبل أن تنزلا، نقلت مريم الأصيص من جوار الباب إلى مكان تصله الشمس. احتاجت إلى إزاحة صندوقين قديمين.

وضعت الصندوقين في الجانب الآخر. ثم نظرت إلى البقعة التي اتسعت على الأرض: كان يمكن أن يوضع فيها كرسي ثانٍ.

المشهد الخامس

مكان لشيء آخر

بعد أسابيع، جاء صباح لم ترغب فيه مريم في النهوض. نامت قليلًا في الليلة السابقة، ورأت في حلمها واجهة المحل مفتوحة كما كانت. حين استيقظت، بقيت تحدق في السقف.

تذكرت الأصيص، فغضبت: «ها أنا أعود إلى البداية». ثم تذكرت كم مرة شعرت بهذا، وكم مرة مضى اليوم بصورة مختلفة عما توقعت.

بعثت إلى سلوى: «اليوم صعب. لا أريد كلامًا كثيرًا. إن استطعتِ، تعالي بعد العصر».

وصلت صديقتها فوجدتها على السطح. على الطاولة ورقة بأقساط الديون، وبجانبها رقم هاتف ستتصل به للسؤال عن عمل جزئي. لم تكن قد اتصلت بعد.

سألت سلوى: «أتريدين أن أتركك حتى تنتهي؟»

«بعد الشاي».

قطفت مريم ورقتين من النعناع. كان الغصن الآخر قد ذبل، أما هذا فقد أخرج أوراقًا جديدة.

حرّكت الورقة جانبًا كي تضع الكأس الثاني. لم تختفِ الأرقام، ولم يعد المحل. لكنها، حين مدت يدها إلى الإبريق، انتبهت إلى أن الطاولة تتسع للأشياء كلها.

قصة متخيّلة مستوحاة من أفكار المقال؛ لا تروي واقعة حقيقية.